Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 36:3 (2001)

بسم الله الرحمن الرحيم

القيم الإسلامية، المطلقة والنسبية

محمود الحياري

المقدمة:

يعيش العالم اليوم من أدناه إلى أقصاه حالة من القلق وعدم الاستقرار على الرغم من التقدم التكنولوجي الهائل، وإذا كانت تلك ظاهرة في دول العالم الثالث حيث ينتشر الفقر والتخلف والتفكك، فإن الدول التي تتزعّم المسيرة الحضارية المعاصرة ليست ببعيدة من أجواء هذا الاضطراب، فالمجتمع الأمريكي والياباني وكذلك دول الاتحاد السوفيتي (سابقاً) كلها تعاني هذا الاضطراب، ومهما كانت الأسباب التي ذكرت لهذا الاضطراب، إلا أن التحليل النهائي يعبّر عن حاجة هذه الدول إلى نظام جديد من القيم يتفق وكرامة الإنسان[1].

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

ويعد البحث في القيم من القضايا المعقدة، نظراً لكثرة المجالات التي تتناولها ونظرة المدارس الفلسفية المختلفة للقيم، سواء في الماضي أو الحاضر، الأمر الذي أدى إلى اختلاف الرؤية لمعنى القيمة، من حيث تكوينها ومصادرها، وتصنيفها، وتحديدها، ووظيفتها، وتعليمها.

وقد ذكر القيسي[٢] أن حاجة المجتعات الإسلامية لمزيد من الدراسات في موضوعات القيم لا تقل عن حاجة غيرها من المجتمعات الإنسانية، فعلى قيم الإسلام تقوم حياة المجتمع الإسلامي ونشاطاته وعلاقاته بالمجتمعات الأخرى، وبها يرتبط مستقبله، وفي ضوئها يتقرر مسير العملية التربوية، التي تقرر مسير حياته كلها.

وهذا يتطلب المزيد من الدراسات والأبحاث في مجال القيم الإسلامية، وأثرها في حياة الأفراد والجماعة؛ لأن القيم الإسلامية قادرة على الإنتاج في كل زمان ومكان، وقادرة على انتشال الإنسان من أزمته القِيَمِيَّة.

أهمية البحث:

موضوع القيم قديم قدم الإنسان نفسه، وهو من الموضوعات التي حظيت باهتمام الباحثين في العقود الأخيرة، والقيم الإسلامية -وهي جوهر عملية التربية في كل عصر وزمان- تهتم بالإنسان من جميع جوانبه، ولقد كرم الله الإنسان وفضله على سائر المخلوقات، وأول تكريمه كان باحترام عقله وإطلاق إرادته في التفكير والاجتهاد

والحوار ونقد البرامج الاجتهادية العاجزة عن الإنتاج، وقد التبس على كثير من المسلمين التمييز بين القيم وبين برامج تنفيذها، فأعطيت القداسة للبرامج الاجتهادية كما أعطيت للقيم، فنتج عن ذلك إطلاق الثبات على هذه البرامج الاجتهادية ووصفها بالقيم المطلقة، لا تقبل التطوير أو التعديل، بحجة أنها كلها من عند الله، فجاءت هذه الدراسة لتسهم في زيادة قدرة الفرد المسلم على التمييز بين القيم الإسلامية المطلقة والقيم النسبية، علماً أن هذا الموضوع يحتاج إلى مزيد من الدراسات.

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

حاول الباحث التمييز بين القيم الإسلامية كمرجعيات وضوابط وموجهات للسلوك وبين برامج تنفيذها الاجتهادية القابلة للخطأ والصواب، كما هي قابلة للتعديل والتطوير.

وقد تضمنت الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١- ما هو مفهوم القيمة؟

٢- ما هي الأسس التي يقوم عليها النظام القيميّ الإسلامي؟

٣- هل القيم الوضعيّة ثابتة أم متغيرة؟

٤- هل القيم الإسلامية مطلقة أم نسبية؟

الدراسات السابقة:

إن القيم الإسلامية في واقعها هي ما أمر الله به وما نهى عنه، ويمكن تسمية ما أمر الله به القيم الموجبة وما نهى عنه القيم السالبة، وفي ضوء ذلك فإن موضوع القيم الإسلامية كان محل اهتمام

علماء المسلمين قديماً وحديثاً، وتحت عناوين كثيرة مثل: الآداب والفضائل والكبائر والأخلاق والآفات.

فمن هذه الدراسات "شعب الإيمان للبيهقي" ومختصره للإمام القزويني، والدراسة التي أجراها الفرحان، ومرعي[٣] بعنوان: "اتجاهات المعلّمين في الأردن نحو القيم الإسلامية في العقائد والعبادات والمعاملات كما حددها الإمام البيهقي"، هدفت إلى تبيان أهمية كل شعبة من شعب الإيمان في سلم الإمام البيهقي القيمي من خلال نسبة الاستجابة عنها.

والإمام النووي في كتابه **رياض الصالحين**، تناول كثيراً من القيم في مختلف المجالات ورتبها بصورة أقرب ما تكون إلى تصنيف للقيم، ومن الذين بحثوا في القيم الإمام الشاطبي في كتابه **الموافقات**، فقد قام بتصنيف القيم عند بحثه مقاصد الشريعة حيث صنّف القيم إلى ثلاثة أقسام، هي القيم الضرورية وهي حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل، وقيم الحاجيات، والقيم التحسينية، موضحاً أن القيم الضرورية أصل للحاجيات والتحسينات وإذا اختلفت القيم الضرورية اختلفت القيم الأخرى، وأن العبادات والعادات والمعاملات تحفظ القيم من حيث الوجود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحفظها من جانب العدم.

ومن الدراسات الحديثة: دراسة عبدالله وآخرون[٤] عنوانها "بناء مقياس القيم الاجتماعية في الإسلام" وقد هدفت إلى تطوير مقياس للقيم الاجتماعية في الإسلام عن طريق بناء أداة مكونة من

خمسين فقرة تغطي سبعة مجالات وهي "الأسرة، والجوار، وأولي الأرحام، والطعام والشراب واللباس، والاقتصاد، والاجتماع، والتعامل مع غير المسلمين".

ومن هذه الدراسات دراسة الجمل[٥] عنوانها "القيم ومناهج التاريخ الإسلامي دراسة تربوية" هدفت بدورها إلى إبراز دور مناهج التاريخ الإسلامي في غرس القيم لدى الطلاب بعد أن يتم تحديد القيم في أي منهج من مناهج التاريخ الإسلامي في مراحل التعليم المختلفة.

كما أجرى القيسي[٦] دراسة عنوانها" المنظومة القيمية الإسلامية كما تحددت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة"، هدفت إلى ترتيب القيم الإسلامية في مجموعات متجانسة، مثل: قيم التوحيد، العلم، البيئة، الجهاد، والقيم الاقتصادية، والسياسية، واعتبر أن جميع قيم الإسلام دينية وأخلاقية.

وأجرى المغربي[٧] دراسة عنوانها "سلوك الفرد والجماعة في التنظيم، مفاهيم وأسس السلوك التنظيمي" هدفت إلى تصنيف القيم فهو يرى أن هناك نوعين من القيم وهي القيم الأساسية التي تنشأ على أساس التعاليم الدينية التي مصدرها الرسالات السماوية وهذه قيم لا تتغير، لأن العبث فيها يؤدي بالضرورة إلى نسخ جوانب دينية راسخة، كالقيم المتعلقة بالصلاة والزكاة والصوم والأمانة والمساواة والعدالة، والنوع الثاني وهو القيم الثانوية فهي من صنع الإنسان سواء ما يقوم منها في المجتمع أو في بيئة العمل، فبالإمكان تحويلها أو

تغييرها، وعليه فإن القيم الأساسية التي مصدرها رسالات السماء لا تقبل التغيير، أمام القيم الثانوية التي هي من صنع الواقع الاجتماعي والثقافي فيمكن تعديلها أو تغييرها.

وأجرت الفريحات[٨] دراسة عنوانها "مستوى الاعتقاد لمنظومة القيم التربوية الإسلامية ودرجة ممارستها لدى طالبات الجامعات الحكومية في الأردن" وأظهرت نتائج هذه الدراسة أن درجة الاعتقاد أعلى من درجة الممارسة في المجالات التالية: العقائد، والعبادات، والسياسة، والاقتصاد، والمعرفة، والاجتماع، والبيئة.

ودراسة درّاز[٩] عنوانها "دستور الأخلاق في القرآن" دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن ببعض النظريات الغربية" فقد صنف القيم في سُلَّمين: القيم الإيجابية والقيم السلبية، ويرى أن لكل قيمة درجات، ويرى أن المفهوم الإسلامي للقيم يتمثل في: أنه يجب أن تمارس النفس الإنسانية جميع القيم إلى مستوى معين قبل أن تتخصص في واحدة من بينها، وأن فكرة الخير يجب أن تتضمن قيمتين مختلفتين، واحدة هي الحد الأدنى الإلزامي للقيمة والثانية هي الإضافات، ويرى أن صفة النسبية واضحة فيها، كما يرى أن تغير الظروف يجعل أداء القيمة أحياناً عسراً حقيقياً، فيكون لمقتضيات هذه الظروف تغييراً للقيمة أو تخفيفاً أو تأجيلاً أو إلغاءً لها.

ويستفاد من الدراسات السابقة أن القيم الإسلامية بالإضافة إلى إمكانية تصنيفها حسب معايير معينة وتحديد مفهومها والأسس التي تقوم عليها، فإنه بالإمكان أيضا قياسها.

التعريفات الإجرائية:

تبنى الباحث التعريفات الإجرائية الآتية:

١- القيمة الإسلامية: هي مجموعة من المبادئ والأحكام والقواعد التي تعمل منطلقات وموجهات لسلوك الإنسان ومرجعيات مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-، ومنها ما هو قطعي في دلالته ومنها ما هو ظني تختلف الأفهام حوله، ومن خلالها يتم الحكم على الأفكار والأشياء والأشخاص والتصرفات ويمكن قياس القيم بالأداء السلوكي.

٢- القيمة المطلقة: هي القيمة التي لا تقبل التغيير أو التعديل، ومطالب المسلم بأدائها تحت جميع الظروف مع إمكانية التغيير في صور أدائها، تخفيفا أو تأجيلا.

٣- القيمة النسبيّة: وهي القيمة التي تقبل التغيير نظراً للتغير المسوغ في طلبها، أو تقبل التبديل نظراً لعدم إمكانية أدائها بالصورة المطلوبة أو كانت درجة إلزامها حسب فهم الدليل عليها.

ما هو مفهوم القيمة؟

كان موضوع القيم ولا يزال مجالاً خصباً للدراسات الفلسفية التي تقوم على التأمل والتجريد. وعلى الرغم من الحضور الاجتماعي

الدائم والدور الهام الذي تؤديه القيم في توجيه نشاط الفرد وسلوكه، إلا أن الدراسات في القيم الوضعية بقيت هامشية لفترة قريبة نسبياً.

فقد ذكر خليفة[١٠] أنه على الرغم من أهمية موضوع القيم في مجال الدراسات النفسية والسلوك البشري بصفة عامة، فقد ظل لفترة طويلة خاضعاً للتأملات الفلسفية بعيداً عن الدراسة العلمية الواقعية، وقد بدأ الاهتمام بدراسة القيم في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الحالي وأخذ ينمو إلى المزيد من الالتزام بالمنهج العلمي، ولعل الفضل في ذلك يعود إلى اثنين من علماء النفس وهما ثرستون (Thrstone) الذي قدم تصوراً لمعالجة القيم في إطار المنهج العلمي، والآخر هو سبرانجر (Spranger) الألماني الذي نشر خلال هذه الفترة نظريته في أنماط الشخصية، والتي انتهى منها إلى أن الناس يتوزعون بين ستة أنماط استناداً إلى غلبة سيادة واحدة من القيم التالية عليهم، القيمة النظرية، والقيمة السياسية، والقيمة الاجتماعية، والقيمة الاقتصادية، والقيمة الجمالية، والقيمة الدينية، تلك القيم التي صاغها (البورت وفيرنون)، فيما بعد إجرائيا في مقياس سمي باسميهما.

وموضوع القيم كما هو معروف قديم قدم الإنسان نفسه، وتناولته الدراسات من جوانب مختلفة، ومن هذه الجوانب مصدر القيم، فقد ذكرالفرحان وآخرون[١١] أن دعاة الفلسفة المثالية يرون أن القيم إلهية المصدر نتوصل إليها بالعقل، في حين يرى دعاة الفلسفة الواقعية أن المجتمع هو مصدر قيمه، بينما الفلسفة

البراجماتية تـرى أن الفـرد يتوصـل إلـى القيـم عـن طريـق التجـارب، والحكم على القيمة يتم في ضوء ما تنفعنـا. وأمـا الفلسـفة الوجوديـة فـيرى دعاتهـا بـأن الإنسـان نفسـه يضـع قيمـه، والقيـم متغيـرة تغـيراً مستمراً.

وذكر بيومي[١٢] أن (إميل دوركهـايم) يـرى أن قيمـة الشـيء هي بمقدار ما يحققه من آثار تنشأ عنـه بمـا لـه مـن خصـائص ذاتيـة معنية، والـذات المعنية هنا هـي ذات المجتمـع (ذات جمعيـة) أي أن مصدر القيم هو المجتمع.

والخلاصـة فـي الفلسـفات المذكـورة: الحديثـة، والواقعيـة، والبراجماتيـة، والوجوديـة، والاتجـاه الذاتـي الـذي يمثلـه (إميـل دور كهايم)، أن القيم متغيرة غير ثابتة، وإنسانية يضعها الفرد أو المجتمـع أو الفرد والمجتمع معاً، ومتنوعة الأهداف والغايات.

والقيم ضروريـة ولازمـة للأفـراد والجماعـة، فعلـى المسـتوى الفردي تحدد السـلوك الصـادر عنـه، وبالتـالي تلعـب دوراً هامـاً فـي تشكيل الشخصية الفردية وتحديـد أهدافهـا، وتعطـي لـه الفرصـة فـي التعبير عن نفسه، كما تشكل ضابطـاً لشـهواته حتـى لا تتغلـب علـى عقله؛ لأنها تربط سـلوكه وتصرافاتـه بمعـايير وأحكـام يتصـرف فـي ضوئها، وتعتبر المرجعية فـي فهـم حياته وعلاقاته، وأما على مسـتوى الجماعة فإن أي تنظيم اجتماعي في حاجة إلى نسق للقيم يشابه تلك الأنساق القيمية الموجودة لدى الأفـراد، يضمنـه أهدافـه ومثلـه العليـا التي تقوم عليها حياته ونشاطاته وعلاقاته، فإذا ما تضاربت هذه القيم

أو لم تتضح فإنه سرعان ما يحدث الصراع القيمي والاجتماعي الذي يدفع بالتنظيم الاجتماعي إلى التفكك والانهيار[١٣].

وتتعدد تعريفات القيم في الإطار العلمي كما ذكر مرعى وبلقيس[١٤] أن بري (Perry) يعرفها بأنها الاهتمام، فما نهتم به نكسبه قيمة. ويعرفها (ثورندايك) بأنها تفضيلات وتكمن في اللذة أو الألم الذي يشعر به الإنسان، ويعرفها كلايد كلاكهون (Clyde Kluckhoon) بأنها تصورات للتفضيل، وهي جزء من الثقافة ويعرفها (Back Man) بأنها أفكار حول ما هو مرغوب فيه أو غير مرغوب فيه بالنسبة للأمور، ويعرفها (بارسونتر) بأنها تصورات توضيحية لتوجيه السلوك في الموقف.

وأما مكونات القيمة فقد ذكر جابر[١٥] أن كرتش وكرتشفيلد يريان أن القيمة تنطوي على ثلاثة أبعاد هي: البعد المعرفي، والوجداني، والبعد النزوعي السلوكي.

أما بالنسبة لقياس القيم فقد ذكر خليفة[١٦] أن القيم تقاس بعدة طرق من أهمها المشاهدة أو الملاحظة المنظمة، والمقابلة الشخصية، وتحليل المضمون، والاختبارات.

مفهوم القيمة في الإسلام: جاء في **لسان العرب** تحت مادة (قوم) أن القيمة واحدة القيم وأصله الواو؛ لأنه يقوم مقام الشيء والقيمة ثمن الشيء بالتقويم، وجاء في المعجم الوسيط، فقيمة الشيء ثمنه، ويقال ما لفلان قيمة أي ليس له ثبات ودوام على الأمر.

وقد ورد في القرآن كلمات مشتقة من مادة "قوم" منها ﴿ذَلِكَ الدِّيْنُ الْقَيِّمُ﴾[١٧]، أي المستقيم، و ﴿فِيْهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾[١٨]، أي ذات قيمة عالية، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِيْ هَدَانِيْ رَبِّيْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيْمٍ دِيْنًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيْمَ حَنِيْفًا﴾[١٩]، أي مستقيماً لا عوج فيه.

من خلال ما سبق نلاحظ أن القيمة أخذت معان متعددة في اللغة، الاستقامة، والقيام بالشيء والاعتدال والاستواء والاستقلال.

وقد تباينت تعريفات القيمة من منظورها الإسلامي، وسبب ذلك اتساع ميدانها واختلاف وجهات نظر الذين تناولوها، ومن هذه التعريفات تعريف أبي بكر[٢٠] بأنها مجموعة المبادئ والقواعد والمثل العليا التي نزل بها الوحي، والتي يؤمن بها الإنسان ويتحدد سلوكه في ضوئها وتكون مرجع حكمه في كل ما يصدر عنه من أفعال وأقوال وتصرفات تربطه بالله وبالكون.

ويعرفها الصاوي[٢١] بأنها مبادئ تحث على الفضيلة، وموجهات للسلوك الإنساني لصالحه وصالح مجتمعه، وتستمد أصولها بالأمر والنهي من القرآن الكريم وسنة الرسول - صلى الله عليه وسلم.

كما عرفها القيسي[٢٢] بقوله: هي "مجموعة من المثل العليا والغايات والمعتقدات والتشريعات والوسائل والضوابط والمعايير لسلوك الفرد والجماعة مصدرها الله عز وجل، وهذه القيم هي التي تحدد علاقة الإنسان وتوجهه إجمالا وتفصيلا مع الله تعالى ومع نفسه، ومع البشر، ومع الكون، وتتضمن هذه القيم غايات ووسائل.

ومن هذه التعريفات يتبيّـن أن مصـدر القيـم فـي الإسـلام هـو الوحي، أي أنها تستمد أصولها من القرآن والسنة، والبحث فيها هـو بحث في الإسلام كله، وهـي تنظم علاقة الإنسان بربه وبالكون، وأن الفرد بحـاجة إليها كما أن الجماعة بحاجة إليها أيضـاً، لأنهـا تحـدد سلوك الفرد ومرجعه في تعامله مـع الأشـخاص والمواقـف والأشـياء، كما أن نشاطات الجماعـة وعلاقاتهـا فـي الإسـلام تحـدد فـي ضـوء قيمه.

ويرى أبو العينين[٢٣] أن أبعـاد القيـم الإسـلامية ترتبـط بأبعـاد شخصية الإنسان وجوانبها، وهذه الأبعاد هي البعد المادي ويعبر عنـه الوجود المادي للإنسان، والبعد الخلقـي المتعلـق بـالأخلاق، والبعـد العقلي المتعلق بـالعقل والمعرفـة، والبعـد الجمـالي المتعلـق بـالتذوق الجمـالي، والبعـد الوجدانـي وهـو الـذي ينظـم لجوانـب الانفعاليـة للإنسان، والبعد الروحي وهو ما ينظم علاقـة الإنسـان بربـه، وأخـيرا البعد الاجتماعي ويتعلق بـالوجود الاجتمـاعي للإنسـان فـي مجتمعـه والمجتمعات الأخرى.

ويـرى فرحـان ومرعـي[٢٤] أن للقيمـة فـي الإطـار الإسـلامي كبقية القيم مكـون نفسي معرفي عقلي ووجداني أدائي يوجه السلوك ويدفعه، ولكنه إلهي المصدر ويهدف إلى إرضاء الله تعالى دائماً.

ويرى الجمل[٢٥] أن القيمة قد ارتبطت فـي جانبهـا الإيجـابي بالفضائل الخلقية، وفي جانبها السلي بالنقائض.

هذا وقد اختلف الباحثون في القيم الإسلامية حول تصنيفها، وذلك لاختلاف المعايير التي يراها كل باحث لتصنيفه، ومن جهة أخرى لتداخل القيم، فالقيمة الواحدة يمكن أن تصنف تحت أكثر من نوع، فالقيمة السياسية قد تكون اجتماعية وقد تكون اقتصادية وقد تكون خلقية، ونظرا لأن كثيرا من القيم في الإسلام تحتاج إلى فهم النصوص الواردة في الكتاب والسنة ونظراً لاختلاف الفهم عند الناس فقد تباينت وجهات نظر الباحثين في القيم الإسلامية حول ثبات بعض القيم وتطوريرها أو تعديلها أو تغييرها، كما اختلف حول ما هو مطلق منها وما هو نسبي، فقد فرّق المغربي[٢٦] بين نوعين من القيم، النوع الأول القيم الأساسية مصدرها الرسلات السماوية وهذه قيم لا تتغير، والنوع الثاني القيم الثانوية فهي من صنع الإنسان يمكن تحويلها أو تغييرها.

كما ذكر أحمد[٢٧] أن من القيم ما هو مطلق وعام وشامل ومصدره رسالات السماء، ومنها معا هو نسبي وخاص ومتغير ومصدره الواقع الاجتماعي والثقافي، وتعتبر القيم المطلقة الموجه الرئيس لاستنبات قيم ثقافية نسبية.

ويرى الباحث أنه يمكن تعريف القيمة: " بأنها مجموعة من المبادئ والأحكام والقواعد التي تعمل منطلقات ومرجعيات وموجهات لسلوك الإنسان، وبها يتم الحكم على الأفكار والصرفات والأشياء، ويمكن قياسها بآثارها السلوكية".

ما هي الأسس التي يقوم عليها النظام القيمي في الإسلام؟

القيم في الإسلام إلهية المصدر، وهي تشكل نسقا قيميا متميزا، وسبب هذا التميز هو الأسس التي يقوم عليها هذا النسق، وهي أسس تراكمية بحيث يقوم بعضها على بعض، فإذا انهدم الأساس الأول انهدم البناء، أو إذا انعدم أساس آخر تشوَّه النظام القيمي، وهذه الأسس هي:

١- الأساس الأول: هو الإيمان بالله، ويعتبر هذا الأساس الركيزة الأولى في النظام القيمي الإسلامي، وهو القيمة الأعلى والأسمى، وعنها تنبثق القيم الأخرى كما ينبثق النور من الشمس. ولا بد لهذا الأساس حتى يكون له ثمرة من أن يوافق السلوك العملي الاعتقاد القلبي أو العمل الصالح كما عبَّر عنه القرآن الكريم، وقد ذكر الجلاد[٢٨]: "أن العمل الصالح يبيِّن معنى القيم ويشمل أبعادها، والإيمان لا يعد إيمانا كاملا إلا إذا اشتمل على العمل الصالح وقد وردت في هذا المعنى العديد من الآيات التي تؤكد هذه الحقيقة وتبيّنها، منها قوله تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ**﴾[٢٩] وقوله ﴿**إِنَّ الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوْا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُوْنٍ**﴾[٣٠] وقوله: ﴿**إِنَّ الَّذِيْنَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ**﴾[٣١].

وقد ذكر القيسي[٣٢]: إن خطاب الله تعالى للمكلفين هو الفيصل في تقييم الأشياء والأعمال والحكم عليها، فتكون لها قيمة أو

لا تكون، وبغير خطاب الله ليست هناك وسيلة يتوصل بها إلى معرفة القيم الإسلامية.

والإيمان بالله يستدعي الإيمان بكل ما أمر الله أن نؤمن به، فالإيمان بالملائكة والرسل والكتب واليوم الآخر والقدر خيره وشره، كلها متكاملة بحيث إذا اختل الإيمان بإحداها اختل الإيمان، كما يختل البناء القيمي الإسلامي.

٢- **الأساس الثاني**: هو الأحكام الشرعية وهي التي تبنى على الأساس الأول، وهي تشكل مجموعة من المعايير التي تضبط السلوك الإنساني وتوجهه ليكون سلوكاً قيمياً، وأن مقاصد هذه الأحكام الشرعية مرتبط بالحياة الاجتماعية والفردية للإنسان، وقد ذكر أبو إسحاق الشاطبي "أن تكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخلق وهذه المقاصد لا تعدو ثلاثة أقسام، إحداها أن تكون ضرورية، والثاني أن تكون حاجبية والثالث أن تكون تحسينية، وإذا اختلت الضرورية اختلت الحاجية والتحسينية" وتتمثل الضرورية بحفظ خمس من القيم، وهي: حفظ الدين، والعقل والنفس، والنسل، والمال، والأحكام الشرعية هي خمسة أحكام: الواجب والمحرم والمندوب والمكروه والمباح، ويلاحظ أنها تمثل القيمة الموجَبة ونقيضها القيمة السالبة، وبينها مساحة تقترب القيم فيها إما إلى القيم الموجَبة، أو إلى القيم السالبة، وفي هذه المساحة تبرز النسبية في تحقيق القيم الإسلامية.

٣- **الأساس الثالث:** هو حرية الإرادة، لقد خلق الله الإنسان على هيئة مطبوعة على الخير، وكرم الإنسان على سائر المخلوقات، بل سخر كل المخلوقات للإنسان،وفق سنن وقوانين، قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدًى وَلاَ كِتَابٍ مُنِيرٍ**﴾[٣٣] وقال تعالى: ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ.ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِيْنَ.إِلاَّ الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوْا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُوْنٍ**﴾[٣٤]، وقد ذكر الجلاد[٣٥] أن قيم الخير تولد مع الإنسان، وأنها جزء لا يتجزأ من تكوينه الخلقي الذي فطره الله عليه، وأن الموقف الطبيعي للإنسان هو أن يصدر بالخير الذي كونه الله عليه والذي جعله كذلك أساسا لإعمار الوجود،وركنا لقيام الاجتماع البشري،ولكن هذا الخير الفطري عرضه للتشويه والتبدل بما يواجه من مثيرات بيئية غير سليمة سواء في التربية الأسرية أو التربية الاجتماعية العامة، يشهد لذلك قول الرسول عليه السلام (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه)[٣٦].

والله سبحانه تعالى خلق الإنسان وبيّن له طريق الخير وطريق الشر، وأن الله سبحانه لا يهدي إلا إلى طريق الخير، قال تعالى: ﴿**وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**﴾[٣٧] وقال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيْمُ لِأَبِيْهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِيْ بَرَآءٌ مِمَّا تَعْبُدُوْنَ إِلاَّ الَّذِيْ فَطَرَنِيْ فَإِنَّهُ سَيَهدِيْنِ**﴾[٣٨].

ونتيجة لخلق الله الإنسان مفطورا على الخير، وأنه بيَّن له طريق الخير وطريق الشر، وأنه سخّر له ما في السموات وما في

الأرض،قال له بعد ذلك ﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَآءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِيْنَ نَارًا**﴾(٣٩)، فعليه أن يتحمل بعد ذلك نتيجة عمله، فإن كان عمله خيراً يجز به وإن كان شرا يجز به، وهذا الأساس يعبِّر عن الأساس النفسي للقيم، لهذا نجد أن القرآن أشار إلى ضرورة البيئة التي يعيش فيها الإنسان، وأنها قد لا تحافظ على ما هو مفطور عليه قال تعالى: ﴿**وَقَالَ نُوْحٌ رَبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِيْنَ دَيَّارًا. إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوْا عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُوْآ إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا**﴾(٤٠) أي أن البيئة أصبحت غير صالحة لمحافظة الإنسان على قيمه التي فطره الله عليها، لأن الأصل أن يولد الإنسان على الفطرة الخيّرة.

٤- **الأساس الرابع**: وهو تنمية القيم وارتقاؤها عملية تعاونية: فالقيم تنمو وترتقي ولكن نموها ورقيها لا يتم بجهد حاملها فقط، بل لا بد من جهود أخرى تكون قدوة لها أو معززة أو داعمة أو مشكِّلة إطارا لها، والتالي تعمل هذه الجهود المشتركة على تنسيق القيم في منظومتها.

ونظراً لأن الإنسان يولد وهو لا يعلم شيئا، ولكن الله سبحانه وتعالى زوده بأدوات المعرفة من السمع والبصر والعقل بأقل قدراتها، قال تعالى: ﴿**وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُوْنِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُوْنَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَ**﴾(٤١)، فتنمو هذه الأدوات وتنمو معها المعرفة وترتقي، ويبدأ اكتساب المعرفة بطريق المشاهدة والمشخصات إلى أن تصل القدرات العقلية إلى تحمل

المعرفة عن طريق التجريد، وتتفاوت هذه القدرات في الاكتساب من فرد لآخر.

فقد ذكر خليفة[٤٢] أن ارتقاء القيم وتغيرها عبر العمر يتم في ضوء التغيّر والنموّ في القدرات المعرفية للفرد ووظائفها، فالقيم في مرحلة الطفولة على سبيل المثال تتسم بالمعاينة والخصوصية نظراً لعدم نموّ القدرات العقلية ووظائفها بدرجة كافية، في حين تتسم القيم في مرحلة الرشد بالعمومية والشمول نظراً للنمو القدرات المعرفية وتغيرها نحو المزيد من التجريد والتركيب، وتكون هناك فروق بين المرتفعين والمنخفضين في هذه القدرات فيما يتبنَّونه من قيم.

ونظراً للأطوار التي يمرّ فيها الإنسان فإن مسؤولية تنمية القيم والارتقاء بها مسؤولية فردية جماعية تعاونية فالفرد والأسرة والمدرسة والمجتمع والدولة كل له دوره، وتتباين أدوار هذه الأطراف في المسؤولية حسب القدرات العقلية عند الفرد، فالطفل الصغير مثلاً يحتاج إلى عناية الأسرة أكثر من غيرها في هذه المرحلة، وفي مرحلة الدراسة يبدأ دور المدرسة وإن كانت لا تنتهي مسؤولية الأسرة ولكنها تصبح مسؤولية تعاونية وتنمو مسؤولية الجميع نحو تربية الطفل مع نموّه وبمقدار العلاقة معه؛ لأن كل مفردة من مفردات التأثير في تكوين شخصية الإنسان تكون مسؤولة عنها جهة أو أكثر من جهة، وإذا قصرت جهة في دورها انعكس على أدوار الجهات الأخرى، جاء في الحديث أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال؟: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته،

الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته وكلكم راع مسؤول عن رعيته"(٤٣). ومن خلال هذا الوصف البسيط للأسس التي يقوم عليها النظام القيمي في الإسلام، فإن هذا النظام يتميّز بالخصائص التالية: إن القيم الإسلامية إلهية المصدر تقوم على الإيمان بالله بحيث إذا انعدم الإيمان بالله لم يعد هناك نظام ولا انسجام، وأن القيم الإسلامية شاملة متكاملة سواء أكانت للفرد أم للجماعة، وأنها تتميز بالثبات والمرونة والوسطية، وأنها تقوم على سنن وقوانين في تعاملها مع الكون والإنسان والحياة، وأن حياة الإنسان لا تنتهي بموته.

هل القيم الوضعية ثابتة أم متغيرة!

يختلف مفهوم القيم الوضعية من شخص لآخر، ومن مجتمع لآخر، نظراً لاختلاف الأفراد والمجتمات في الأصول الفلسفية التي يعتنقونها، ويحددون بوساطتها نظرتهم إلى الإنسان والكون والحياة وما قبلها وما بعدها، وفي ضوء هذه النظرة ظهرت عدة اتجاهات لتفسير طبيعة القيم، ونتناول فيما يلي بعض هذه الاتجاهات:

فقد ذكر بيومي(٤٤) بعض هذه الاتجاهات منها: أوّلا: اتجاه الفلسفات المثالية والعقلية، ومن أصحابها: أفلاطون وهارتمان وموید هورسول، فهم ينظرون إلى القيم على أنها جوهر مثالي روحي أولي، يؤثر ولا يتأثر، وأن مصدرها إما إلهي أو عقلي، وتشكل القيم في نظرهم المبادئ الأولى لكل العلاقات النهائية، وتحكم الميل لأي

علاقة عليا مع الطبيعة وهي مطلقة، إلا أن لها واقعا ماديا يتمثل في قوّة واقعية تأخذ شكل الواجب الأخلاقي. وأما -ثانيا- فهو: اتجاه الفلسفات الطبيعية التجريبية، ومن أبرز أصحابها لوك، وبركلي، وهيوم، دوركهايم، ووليم جيمس -إذْ يرى هؤلاء أن القيم ليست ذات طبيعة أولية وأن الخير والحسن ما هو إلا حالة من حالات الإنسان النفسية أو حالة من حالات وعيه متمثلة في اللذة أو الرغبة ولا يمكن معرفتها إلا من خلال الحس ولا يمكن أن تُفهم بعيدا عن البيئة الاجتماعية للإنسان.

وقد بدأ الاهتمام الجدّي بدراسة القيم وإخضاعها للبحث الموضوعي من جانب العلماء والباحثين في العقود القليلة الماضية من هذا القرن، ومن أهم العوامل التي أدت إلى ضرورة دراسة القيم دراسةً علميةً ما أحدثته الثورة العلمية التكنولوجية وغيرها من عوامل التغير الثقافي، من إعادة تشكيل الكثير من معارفنا ومفاهيمنا عن الحياة، وتقويض أغلب تصورات الإنسان عن ذاته وعن عالمه، الأمر الذي أدى إلى التذبذب وعدم الاستقرار في القيم الموروثة والمكتسبة على حدّ سواء، وعدم مقدرة عدد كبير من أفراد المجتمع -وبخاصة الشباب- على التمييز الواضح بين ما هو صواب وما هو خطأ وكل هذا سبَّب أزمة قيمية.

وذكر زاهر(٤٥) أن القيم لها مستويات ثلاث مرتبة داخل النسق القيمي حسب أولوياتها وأهميتها بحيث تبدو وكأنها مرتبة في سلّم، ويكون على رأس هذا السلّم القيمي أكثر القيم غلبة وقدسية

وأكثرها إلحاحا وأهمية بالنسبة لأفراد وللجماعات، وهذه القيم تكون واسعة الانتشار، وتحظى بمكانة اجتماعية عالية وتساعد قوتي العرف والقانون في المجتمع على فرضهما. ويطلق على القيم داخل هذا المستوى القيم الإلزامية، ومن أمثلتها مسؤولية الأب نحو أسرته، وتنظيم العلاقة بين الجنسين. ويلي القيم الإلزامية مستوى آخر من القيم يشجعها المجتمع ويدعو للاقتداء بها، ويكافئ من ينجح فيها ولكن بدون إلزام من القوانين والأعراف الاجتماعية، ومن أمثلة هذه القيم -والتي تسمى القيم التفضيلية-: النجاح في الحياة العملية والحصول على الثروة والترقي في ميدان العمل. أمام على المستوى الثالث في تدرج القيم داخل السلّم القيمي: فهو مجموعة القيم المثالية والتي يستحيل تحقيقها بصورة كاملة، ولكنها تؤثر في توجيه سلوك الأفراد لذا يدعو إليها المجتمع دون أمل كبير في تحقيقها بصورتها المثالية، ومن أمثلتها: مقابلة الإساءة بالإحسان فقد يعجز الفرد في واقع الأمر عن الالتزام بها، ولكنه مع ذلك إذا تبنّاها عدَّل كثيراً من سلوكه حيال من يعتدون عليه أو يسيئون إليه.

وهذا التقسيم يتفق مع تقسيم الشاطبي إلى حدّ ما، حيث صنف القيم إلى ضرورية وحاجية وتحسينية وإذا اختلت الضرورية اختلت القيم الأخرى.

وفيما يتعلق بقياس القيم فقد أسفر الاهتمام بهذا الموضوع عن عدة دراسات تعني بالفروق القيمية بين الجماعات والأفراد، أي العلاقة بين بعض المتغيرات، مثل: الجنس والدين والذكاء والطبقة

الاجتماعية ونوع الشخصية، وتهتم ببيان الفروق الفردية بالنسبة لمقياس القيم. لقد طورت بعض الأدوات لقياس قيم الأفراد والجماعات ووصفها، ومن بين الإسهامات الهامة في ذلك دراسة (البورت وفيرنون) عن القيم وقياسها عن طريق الاختبار. وهذا الأختبار قد بنيت فكرته على أساس المُسلَّمة التي تقضي بأن بعض المهارات تعكس أفكار الناس وأفعالهم ومن ثم قيمهم، وبناء على ذلك فإنه يمكن تصنيف قيم أولئك الناس إلى ستة أقسام وهي: القيم النظرية والقيم الاقتصادية والقيم الجمالية والقيم الاجتماعية والقيم السياسية والقيم الدينية. وفي مجال قياس القيم أيضاً قام (موريس) بتصميم مقياس للقيمة، ووفقا لهذا المقياس فقد تم تقسيم القيم إلى ثلاث عشرة فقرة كل واحدة منها تصف طريقة للحياة أو قيمة من القيم، ثم يطلب إلى الشخص أن يقوم بترتيب تلك الفقرات ترتيبا بحسب مدى أهمية كل منها لديه ودرجة تفضيله لها(٤٦).

أما بالنسبة لاكتساب القيم فإن الفرد يولد ولا يوجد ما يحدد تعامله مع المواقف والأشياء والأشخاص والأهداف التي تنظم عليها محاور حياته، ثم يتولى المربون في الأسرة والمجتمع بكافة مؤسساته مسؤولية تعليمه وتوجيهه في ضوء ما تمثله ثقافة ذلك المجتمع من قيم. وقد أكدت الدراسات أن عملية التنشئة تستمر بالنسبة للفرد على امتداد فترات حياته المختلفة، وما يمرّ به الفرد في هذه الفترات من خبرات معينة، يلعب فيها المنشئون دورا واضحاً، نظراً لما لهؤلاء من قدرة على إشباع حاجاته، وتمكينه من تكوين

معان ودلالات للأشياء في محيط البيئة. وتعتبر الحياة الأكاديمية مصدرا أساسيا للتنشئة القيمية. فقد أوضح (جينز برج) أن القيم لا تصبح محكا مرجعيا هاما لقرارات الأفراد إلا في عمر الخامسة عشرة والسادسة عشرة وبالتالي فهي أكثر طواعية للتشكيل والتغيير من خلال معايشة الخبرات الدراسية والتي عادة ما يكون لها دورها الواضح في هذه الفترة العمرية(٤٧).

ويختلف بعض الباحثين في الكيفية التي يكتسب فيها الفرد قيم مجتمعه، فيرى (إبريل) أن المشكلة تكمن في كيفية نقل الإطار المرجعي ونسق الأهداف والاتجاهات المختلفة إلى الأفراد. أما (تولمان) فيرى أن لدى الإنسان ضرورة أساسية إلى استكشاف الحاجة التي تملي على المجتمعات وجود معايير معرفية وتذوقية وأخلاقية للقيم، يتم خلالها تمكين الفرد من التمييز بين الحقيقي والزائف والجميل والقبيح من منظور الثقافة المعينة(٤٨).

ويقف المنهج الإسلامي من قضية القيم واكتسابها موقفا خاصا متميزا يتناسب مع نظرته الشمولية للإنسان والحياة والكون، والقيم مستوحاة من توجيهات الكتاب والسنة والتي تقوم بالدرجة الأولى على الإيمان بالله، فهي لا تعرف الانفصال الذي عرفته القيم عند الغربيين فقد نمت القيمة عندهم وتطورت في معزل عن الدين، والمنهج الإسلامي لا ينكر تغير الظروف وأثره على القيم، لهذا فهو يراعي نسبية التطبيق، ونسبية النتائج، مبيّنا أن مقاصد الأفعال منفصلة تماما عن النتائج.

وأما بالنسبة لقياس القيم الإسلامية فقد ذكر مسعود[٤٩] أن قياسها يتم من خلال السلوك، فكل قيمة يتشبع بها المسلم لا بد أن تظهر آثارها من خلال السلوك الصادر عنه، مع تفاوت في قوة هذا الأثر، وأن مقياس قيمة أو نسق كامل من القيم سواء على مستوى الأفراد أو المجتمعات أو الحضارات يكون من خلال الآثار التي تترجم عنها.

والنظام القيمي في الإطار الوضعي يتسم بالتغير وتغير الوظيفة، فهو يتشكل وفقا لواقع الفرد وإمكاناته ومواصفاته، فكثيرا ما يتفكك هذا النظام ويعاد ترتيبه من جديد في ضوء التغيّرات التحوّلات الاجتماعية والفكرية الجديدة، وما يحدث للنظام القيمي للفرد يحدث للنظام القيمي الاجتماعي، باعتبار أن المجتمع امتداد للإنسان الفرد، فعندما يحدث تغير اجتماعي معين أو تقوم صراعات اجتماعية أو ثقافية بصفة عامة، فإنه يحدث للقيم عمليات تغيير، أو يقال لها عمليات تحول للقيم، وقد يأخذ التحول أو التغيير القيمي اتجاها رأسيا، وفيه يعاد ترتيب وضع القيمة على السلّم القيمي، وقد يكون في اتجاه أفقي، وفيه يحدث تعول في تعديل مضمون القيمة وتفسيرها[٥٠].

بينما تتصف القيم الإسلامية بالثبات والمرونة فقد ذكر العمري[٥١] أن القيم الإسلامية جامعة للثبات والمرونة وتميل إلى الوسطية العادلة، وتقوم على أساس الضبط والتوجيه والتنمية، وتهدف

إلى إقامة علاقات طيبة بين الإنسان وربه، والإنسان ونفسه، والإنسان والآخرين.

ومن هذا الاستعراض البسيط للقيم من المنظور الوضعي يتبيَّن أنها إنسانية المصدر وأنها متغيّرة ونسبية، وأن هدفها غير ثابت باستمرار، وبالتالي فإن وظيفتها متغيرة، بينما القيم من المنظور الإسلامي إلهية المصدر، إنسانية في تطبيقها، وهدفها واضح، وأنها تستند إلى القيمة الكبرى، وهي الإيمان بالله، التي لا تتبدل ولا تتغير. وتهدف القيم في الإسلام إلى إرضاء الله باستمرار، قولا واعتقادا وعملا، وهي أوسع وأشمل من القيم الوضعية؛ لأنها تهتم بالإنسان في جميع مجالاته وتقوم على إسعاده في الحياة الدنيا والحياة الآخرة، وتقدم للبشر جميعهم المساواة والعدل والطمأنينة.

هل القيم الإسلامية مطلقة أم نسبية؟

جعل الله السنن والقوانين التي تحكم الحياة والأحياء مطردة لا تتبدل ولا تتحول، قال تعالى:﴿**فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً**﴾(٥٢). شأنها في ذلك شأن القوانين التي تحكم الوجود الكوني المادي، وإن دقت هذه القوانين وخفيت وصعب أو تأخر اكتشافها، وقد طلب الإسلام من العقل استيعاب هذه السنن وأسبابها بعد أن شرعها وخاطبه بها، وناط اكتشافها به، وجعل التعامل معها غاية التكليف ومناط التفكير، وزود الإنسان بالقابليات التي تكاد تكون مطلقة للنمو والنهوض، قال تعالى:﴿**وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُوْنِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُوْنَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ**

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَ﴾[٥٣]، ومكّنه من الأدوات المعرفية التي ترقي بوعيه وتأهيله للقيام بمهمته، وتحقيق إنسانيته، كما حدّد له المجالات المجدية للبحث والتفكير والنظر[٥٤].

فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان بطبائع وخصائص ودوافع وتوازع تتناسب مع هذه السنن والقوانين، قال تعالى: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِيْ فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيْلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾[٥٥]، وهو أعلم بالإنسان وحاجته وما يناسبه، قال تعالى: ﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيْفُ الْخَبِيْرُ﴾[٥٦]. لهذا فإن هذه السنن والقوانين الثابتة التي تحكم الكون والحياة والإنسان بما فطر عليه، تحتاج إلى نسق قيمي ثابت، بحيث لا يتبدل بتبدل أهواء الإنسان وشهواته وميوله، وبعيدا عن التحيُّز والتأثير بالإنسان؛ لأن القيم تضبط المسار وتحول دون الانحراف.

وفي البداية لا بد من التمييز بين القيم الإسلامية كأطر ومرجعيات وضوابط وموجهات ومعايير جاءت عن طريق الوحي، مجردة عن حدود الزمان والمكان، وبين وسائل تطبيقها لتحقيق وظيفتها، أي التمييز بين القيم وبين البرامج والخطط كجهود بشرية في محاولة اجتهادية لتنزيل القيم على الواقع أو تقويم الواقع بها، أو التعامل معها من خلال الاستطاعات والإمكانات المتوافرة، وهذه البرامج والخطط بطبيعتها قابلة للمراجعة، كما هي قابلة للخطأ والصواب والتغيير والتبديل والتعديل، وقدرتها في عصر لا يعني بالضرورة قدرتها على تحقيق القيم في واقع الحياة في كل عصر ومجتمع، بنفس البرامج والخطط.

فالقيم الإسلامية تنطلق من مراجع تجريدية، فهي تستند إلى القاعدة الكبرى إلى القيمة الأولى وهي الإيمان بالله قال تعالى: ﴿**وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْآ أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيْعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَآءً حَتَّى إِذَا جَآءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيْعُ الْحِسَابِ**﴾(٥٧)، وهي القيمة الحاكمة والمنظمة للقيم الأخرى، فقد ذكر القيسي(٥٨)" أن توحيد الله عز وجل هو الذي ينظم ويحدد كل القيم، فكافة القيم الأخرى منظمة في هرم القيم طبقا لقيم التوحيد، وبناء على ذلك فالقيم نوعان: قيم حاكمة وهي قيم التوحيد، وقيم محكومة وهي القيم الأخرى، والتي تتحقق وتتجسد بقدر قوة علاقتها بقيم التوحيد، وإن صدور القيم في الإسلام عن قيم التوحيد يجعل منها نظاما فريدا من نوعه".

والقيم الإسلامية وتحديد وظيفتها الأولى ربانية المصدر، كما هي شاملة لجميع مناحي الحياة، قال تعالى:﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُوْنِ**﴾(٥٩)، وبأداء القيم لوظيفتها يتحقق رضا الله تعالى كما تتحقق السعادة للإنسان، والطمأنينة، والأمن، وكل ما يسعى الإنسان السوي لتحقيقه، قال تعالى: ﴿**اَلَّذِينَ آمَنُوْا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوْبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوْبُ**﴾(٦٠)، وقال تعالى:﴿**أَلَّذِيْنَ آمَنُوْا وَلَمْ يَلْبِسُوْآ إِيْمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُوْنَ**﴾(٦١).

فإذا ما تشرب المسلم القيمة لا بد أن تظهر آثارها عليه من خلال اهتمامات والاتجاهات وأنشطة متفرقة أو مجتمعة، أو على شكل تصريح مباشر مثل قول شهادة الحق عند دخول الإسلام، إلا

أن هذه الاهتمامات والاتجاهات والأنشطة السلوكية تتباين قوتها من شخص لآخر على حسب خصائصه النفسية وأساسه التربوي وقوة تشربه للقيمة، كما أنها تتفاوت من زمن لآخر، ومن بيئة إلى أخرى، ومن شخص لآخر نتيجة اختلاف وسائل تطبيقها لتحقيق وظيفتها، وقد ورد في الحديث: "من رأى منكم منكرا فليغيّره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطيع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"(٦٢)، فقد بيّن الحديث أنه في البيئة الواحدة تختلف قوة الإيمان من شخص لآخر، كما أشار الحديث إلى كيفية قياس أداء القيم، وأن قياسها يكون بواسطة المظهر السلوكي سواء أكان سلوكا ماديا ملموسا أم قوليا أم نفسيا غير معروف لكل الناس، وبيّن الحديث كذلك مجموعة من الوسائل يجوز استخدامها عند تحقيق القيمة (إنكار المنكر)، فالنسبية واضحة في هذا الحديث سواء أكانت في اكتساب القيم أم في وسائل تحقيقها.

وذكر مسعود(٦٣): ولكن المشكلة أحيانا أن الظروف تتطور وتتغير، والمشكلات تتبدل ونحن نُصِرّ على التعامل مع كل المتغيرات بالوسائل نفسها، التي ما هي إلا اجتهادات بشرية أكسبها الإنسان صفة القداسة، ربما بسبب نجاحها في حقبة معينة أو بغفلة منه نقل القداسة من القيم والأهداف أي من النصوص الواردة في الكتاب والسنة إلى الاجتهاد البشري، أي إلى المعرفة البشرية.

ذكر دراز(٦٤) أنه من غير المقبول أن نجعل القيم في مستوى واحد، اللازم منها والضروري، والمفضل والإيجابي والسالب،

والمُلِحُّ منها والأقل إلحاحاً، وليس العلاج أن نضع قائمة تتضمن قيم كل مجال في الحياة، أو أن يوضع سُلَّم متدرج لها- لأن القيم الإسلامية هي عبارة عن منظومة أعلاها الإيمان بالله تعالى، ولا تحديد لأدناها-، ولو افترضنا أن هذه القوائم قد وضعت، وأن سلّمها التدريجي، قد تم ترتيبه فهل يكون ذلك نهائيا مطلقا؟ أم أن هناك تغيرا في سلمها التدريجي فما هو لازم في حالة يصبح ثانويا في حالة أخرى، وزائدا في حالة ثالثة، بل نضحي به من أجل ما هو أهم في حالة رابعة.

ولا تتحدد القيمة عند شخص بتميزها عن غيرها من القيم وفق معيار معين فحسب، وإنما تحديدها الحقيقي يتم عند تطبيقها العملي من قبل الأفراد، فالعوامل النفسية، ومكونات الشخصية المختلفة حسب الأفراد وظروفهم، تجعل من المستحيل أن تتماثل قيم شخص ما مع قيم شخص آخر، وبالتالي فإن تحقيقها عند الأفراد هو أمر نسبي قياسا مع صورة القيم التطبيقية النموذجية.

وللقيمة وتطبيقها حقيقة وصورة، والأصل أن تتوافق الحقيقة والصورة، فإذا تخلفت الحقيقة عن الصورة فلا قيمة ولا اعتبار لها كالمنافق الذي يمارس آثار القيم الإسلامية ولكنه غير مؤمن بها، أي أن الحقيقة منعدمة والصورة هي الباقية، أما إذا انعدمت الصورة وبقيت الحقيقة فتعتبر القيمة موجودة رغم أن صورتها منعدمة قال تعالى: ﴿**مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ**

عَذَابٌ عَظِيْمٌ﴾[٦٥] فرغم إعلان المسلم الكفر لسبب خارج عن إرادته فيبقى محتفظا بالقيمة الكبرى والأولى وهي الإيمان بالله، قال تعالى: ﴿**لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُوْرٌ حَلِيْمٌ**﴾[٦٦].

والمسلم وهو يسعى لتحقيق قيمة في واقع الحياة، هو يسعى في الحقيقة لتطبيق حكم الله ﴿**إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوْآ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُوْنَ**﴾[٦٧] فالقيم الإسلامية هي شرع الله، فالله سبحانه وحده المشرع، وليس الآخرون سوى مقررين لأمره بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

فقد ذكر دراز[٦٨]، لكن قد يسعى المسلم لتحقيق قيمة من قيمه في ظروف عادية أو ظروف مناسبة فيصل في ذلك إلى درجة الاستطاعة، جاء في الحديث "ذروني ما تركتم، فإنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فخذوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فانتهوا"[٦٩]؛ ولكن ها هي الظروف تتغير فتجعل من تطبيق القيمة في ظرف معين أمرا عسيرا، ففي هذا الظرف بالذات يظهر بكل وضوح الطابع الرحيم للشريعة القرآنية، فإن الحل سوف يتمثل - في الواقع- في تعديل للواجب تبعا لظروف الحياة الجديدة، أي أن العمل سوف يتعرض لنوع من التصرف أقل أو أكثر عمقا، أوسوف يكون ذلك بحسب مقتضيات الظرف سواء أكان تغييرا أم تخفيفا أم تأجيلا أم حتى إلغاء، وهذه الاعتبارات ذاتها سوف تنطبق على العمل سواء أكان تغير الموقف

نهائيا وإلى الأبد، أم كان نسبيا يخص هذه الحالة أم تلك، هذه الطائفة من الناس أم من الأشياء".

وذكر الشاطبي[٧٠] أن المنافع والمضار هي منافع أو مضار في حال دون حال، وبالنسبة إلى شخص دون شخص، أو وقت دون وقت، فالأكل والشرب مثلا منفعة للإنسان ظاهرة، ولكن عند وجود داعية الأكل، وكونه لا يولّد ضررا عاجلا ولا آجلا ولا ضررا من جهة اكتسابه، ولا يلحقه به ضرر عاجل ولا آجل، ولا يلحق غيره بسبب ضرر عاجل ولا آجل، وهذه الأمور قلما تجتمع، فكثير من المنافع تكون ضررا على قوم لا منافع، أو تكون ضررا في وقت أو حال ولا تكون ضررا في آخر، وهذا كله بيِّن في كون المصالح والمفاسد مشروعة أو ممنوعة لإقامة هذه الحياة، لا لنيل الشهوات.

ولنأخذ مثالا على نسبية تطبيق القيم إذا تغيرت الظروف العادية، فمثلا التولى يوم الزحف كبيرة في الإسلام وهو من القيم السالبة، ففي بداية عهد الإسلام بالجهاد كانت النسبة العددية بين جيش المسلمين وجيش الأعداء هي واحد إلى عشرة قال تعالى: ﴿**إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُوْنَ صَابِرُوْنَ يَغْلِبُوْا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوْآ أَلْفًا مِنَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا**﴾[٧١]، ولكن الظروف قد تغير ورغم أن المسلمين متفوقون على أعدائهم بفضل الإيمان الذي يحركهم، إلا أن الطبيعة البشرية لها حدودها ويصيبها التغير ضعفا وقوة مع تتغير الظروف، فجاء الحكم النهائي للنسبة العددية بين جيش المسلمين وجيش الأعداء بحيث أصبحت واحدا إلى اثنين، قال تعالى: ﴿**الآنَ**

خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوْا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوْا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ واللَّهُ مَعَ الصَّابِرِيْنَ﴾(٧٢).

ونتساءل في أيامنا الحاضرة وفي ظل التطور الهائل في التكنولوجيا العسكرية والأسلحة ذات الدمار الشامل، وامتلاك بعض الشعوب لها هل تبقى النسبة أم تتغير؟، واعتقد أن الاجتهاد البشري في هذه المسألة سوف يعيد النظر في هذه النسبة وأن كل حالة تدرس وحدها.

وفي مثال آخر نجد أن النسبة في تحقيق القيمة هو إرجاء موعد تحقيقها، فالمسافرون والمرضى ليسوا ملزمين بالصوم في وقته المحدد، فاتسع زمان صومهم، قال تعالى: **﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيْضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾**(٧٣). وهاهي الظروف كذلك تتغير عند المسافر وعند المريض فيكون تحقيق قيمة الطهارة للصلاة باستبدال عمل يسير بدل العمل الصعب وهو عبارة عن لمس حجر أو رمل ثم يمسح بيده على وجهه ويديه، قال تعالى: **﴿فَلَمْ تَجِدُوْا مَآءً فَتَيَمَّمُوْا﴾**(٧٤).

إن القيم الإسلامية وهي تستند إلى القاعدة الكبرى، القيمة الأولى والأسمى (الإيمان بالله) لا تقدم لنا على أساس أن لها سلطة مطلقة كافية لدفعها إلى التحقيق في واقع الحياة، بل تقدم لنا ومعها المسوغ لقبولها، وهذا المسوغ هو القيمة التي تعد أساسا لتشريعها، فمثلا قيمة الصوم قدمت لنا على أساس مسوغها الذي شرعت من أجله وهو قيمة التقوى، قال تعالى: **﴿يَآأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا كُتِبَ عَلَيْكُمُ**

الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُوْنَ﴾[٧٥]، وعندما تحول تحقيق قيمة الصوم إلى أمر نسبي سيق معها المسوغ لتحولها إلى هذه النسبة، أي السبب في التخفيف، قال تعالى:﴿**وَمَنْ كَانَ مَرِيْضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيْدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**﴾[٧٦] فقيمة اليسر هي التي سوغت هذا التخفيف أو النسبية في تحقيق قيمة الصوم.

ومثال آخر وهو تعظيم المسجد الحرام في الصلاة بحيث لا تصح الصلاة إذا لم تولّ وجهك نحوه، قال تعالى: ﴿**وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوْا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا مِنْهُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلأُتِمَّ نِعْمَتِيْ عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُوْنَ**﴾[٧٧] والمسوغ لذلك لأنه من نعم الله ومن أسباب الهداية وقاطع لأعذار الناس في قولهم: يجحد ديننا ويتولى قبلتنا، ولكن هذه القيمة وهي تعظيم المسجد الحرام قد يصبح تحقيقها أمرا نسبيا إذا ظهر مسوغ لذلك؛ وعندما تصح الصلاة من غير استقبال القبلة، قال تعالى: ﴿**فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوْا تَعْلَمُوْنَ**﴾[٧٨]، فالخوف مسوغ لصحة الصلاة من تحقيق شرط استقبال القبلة.

والقيم الإسلامية لا تتمسك بشكلها وتجعل منه الأساس في إلزام تحقيقها، وإنما تجعل جوهر القيمة وقيمتها الذاتية والأساس الذي صدرت عنه جميع القيم هو مصدر الإلزام في تحقيقها، قال

تعالى: ﴿إِنَّ اللَّـهَ لاَ يَـأْمُرُ بِالْفَحْشَـآءِ﴾(٧٩) وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّـهَ يَـأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾(٨٠)، وقال تعالى:﴿قُـلْ لاَ يَسْـتَوِي الْخَبِيْـثُ وَالطَّيِّـبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَـثْرَةُ الْخَبِيْـثِ﴾(٨١)، وقال تعالى: ﴿وَاللَّـهُ يَدْعُـوْ إِلَـى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَآءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيْمٍ﴾(٨٢)، فالعدل، والإحسان، والابتعاد عن الفحشاء، والسلام، وغيرها، هي قيم مطلقة، قيم تطلب لذاتها ولا تستقيم الحياة إلا بها، كما أن هذه القيم هي الأساس الذي صدرت عنه جميع القيم الأخرى، وإن جوهرها سواء أكانت قيما سالبة أم موجبة هو خير، وينبغي تحقيقه بالوسائل الممكنة.

والقيم الإسلامية هي قيم مطلقة في طلبها، نسبية في أفرادها وتحقيقها، بدءا من القيمة الأولى والأعلى وهي الإيمان بالله إلى أدنى قيمة، فالناس كافة مطالبة بالإيمان بالله والقيم المنبعثة عنه، ولكن هل صغيرهم وكبيرهم مطالبون بتحقيقها بنفس القوة وبنفس التصور؟ فمعظم القيم مناطها التكليف أي البلوغ وإن كانت مقبولة ممن يؤديها قبل ذلك، وفي نفس الوقت هل يكون تحقيقها بأعلى درجات الكمال الممكن على اعتبار أنها إلزامية، أم يختلف تبعا للاستعدادات البشرية، والواقع الملموس الذي تمارس فيه نشاطات تحقيق القيمة؟. وجاء في الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان" (سبق تخرجه)، فالحديث يشير بأن الإيمان درجات وأن كل درجة تمثل الحد الأعلى من إيمان أهل هذه الدرجة.

فقد ذكر دراز[٨٣] أن الحد الأعلى لممارسة القيم يختلف طبقا لاستعداد كل فرد، وتبعا للظروف التي يمرّ بها، ولا يعني أن هذا الحد الأعلى قد استغرق ميدان هذه القيمة بل إن ميدان الخير رحب يعرف فيه كل فرد درجات مختلفة من الفضل والاستحقاق، ويحس الفرد الذي أحدث نقصا في درجة أو أخرى أحيانا تأنيبا قاسيا أو عتبا رقيقا أو شديدا أو لا يتحرك فيه أي رد فعل، فإن معنى هذا أن الفرد قد عرف أن فكرة الخير يجب أن تتضمن قيمتين مختلفتين، حدا أدنى إلزاميا، وإضافة أكثر إغراء بالثواب.

والنسبية واضحة في تحقيق القيم من قبل أفرادها، فالله سبحانه فضل الأنبياء والرسل على سائر خلقه وفضل بعضهم على بعض، كما فضل بعض المؤمنين على بعض؛ لأن الواقع الذي يجري فيه نشاطنا لتحقيق القيمة يختلف من شخص لآخر. وأن الاستعدادات والقابليات يختلف من شخص لآخر.

والقيمة لا تخضع لهذا الواقع المختلِف بذاتها، وإنّما الذي يخضع هو خصائصها المكانية والزمانية. فأجر المصلى الذي قصر صلاته لأنه مسافر هو نفس أجر المصلى الذي صلى صلاة تامة في بيته أو في مكان آخر، لأن جوهر القيمة وقيمتها الذاتية قد تحقق. قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا"[٨٤].

والقيم الإسلامية منها ما هو ضروري لا يعفى المسلم من تحقيقه ومنها ما تتفاوت درجة الإلزام بها حتى أن بعضها اختياري لا

إلزام فيه، ولكن هناك حد أدنى من القيم وحد أدنى في درجة تحقيقها اعتبرت كالأصل لما بعده من القيم، وبعد ذلك يكون التنافس والتخصص في بعض القيم، وبنفس الوقت لا يجوز تجاوز حد معين في تحقيق القيم من قبيل المبالغة، كما لا يجوز تجاوز الاعتدال والتوازن في تحقيقها، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: "إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إليّ عبدي بشي أحب إليَّ مما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه..." (٨٥)، يستفاد من هذا الحديث أن النوافل لا تصل في ثوابها ثواب الفرض ومن باب أولى أن لا يبالغ العبد في أداء النوافل وهو تارك للفروض، وجاء في الحديث "جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم- يسألون عن عبادة النبي -صلى الله عليه وسلم- فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا وأين نحن من النبي -صلى الله عليه وسلم- قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم: أما أنا فأنا أصلي الليل أبدًا. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا! أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنّتي فليس منّي"(٨٦) فتجاوز الاعتدال والتوازن في ممارسة القيم يؤدي إلى الانحراف في تربية الفرد وبالتالي خروجه من الإسلام.

وجاء في الحديث أيضاً أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة"(٨٧). استعينوا على طاعة الله عز وجل بالأعمال في وقت نشاطكم وفراغ قلوبكم وأنتم تستلذون العبادة لتبلغوا مقصدكم، مثل المسافر الحاذق يسافر في أوقات معينة ويستريح ودابته في أخرى، فيصل المقصود من غير تعب، وكأن الحديث يفيد أن تحقيق القيمة إذا تجاوز حدًّا معيَّنا انقلب إلى نقيضه، وألحق الضرر بالقيم الأخرى.

وقد قسّم الشاطبي(٨٨) القيم إلى ضرورية وحاجية وتحسينية، وجعل الضرورية أصلا لما سواها من الحاجيات والتحسينات، وأن اختلال الضرورية منها اختلالٌ للحاجية والتحسينية، وأن تكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخلق، ويكون بأمرين الأول: ما يقيم أركان القيم ويثبت قواعدها أي مراعاة وجودها، والثاني ما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع، أي مراعاتها من جانب العدم. وجعل وسائل تحقيقها تدور مع مقاصدها في الخلق، وذكر أن القيم الضرورية تتمثل في خمس قيم هي حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل، وأنها ثابتة بالنظر للواقع وعادات الملل والشرائع، أي أنها مراعاة في كل ملة، وأن العبادات والعادات والمعاملات تحفظها من حيث الوجود، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحفظها من جانب العدم.

وذكر الزرقاء[٨٩] أن من أول مقاصد الشريعة صيانة الأركان الخمسة الضرورية وهي الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، ثم ضمان ما سواها من الأمور التي تحتاج إليها الحياة الصالحة مما دون تلك الأركان الضرورية في أهميتها، التي اتفقت الشرائع الإلهية والوضعية على وجوب احترامها، وحفظها، وأن حرمتها لم تبح في ملة قط، ولكن نصوص الشريعة الأصلية القرآن والسنّة أتت بمبادئ أساسية وتركت التفصيلات للاجتهاد في التطبيق بحسب المصالح الزمنية والإمكانيات المكانية، إلا قليلا من الأحكام تناولتها بالتفصيل، فأوضحت معالم العقائد وأحكام الميراث وبعض العقوبات تفصيلا، وأما في العبادات والحقوق إجمالا.

وحفظ مقاصد القيم في الشريعة الإسلامية يقوم بالدرجة الأولى على وسائل اجتهادية وأن هذه الوسائل تدور مع تحقيق مقاصد القيم في الخلق، ومقاصد القيم في الخلق هي الإصلاح، بجلب المنافع لهم، ودرء المفاسد عنهم، وإن جلب المنافع ودرء المفاسد يختلف من زمن لآخر ومن بيئة إلى أخرى، ومن شخص لآخر.

وقد ذكر الزرقاء[٩٠] أن للعرف في الفقه الإسلامي اعتبارا شرعيا في بناء كثير من أنواع الأحكام، وأن الاجتهادات الفقهية في الإسلام متفقة على اعتبار العرف مع تفاوت في حدوده ومداه، كما جعلوا تغير الزمان سببا من أسباب تغيير الأحكام فوضعوا القاعدة الشهيرة "لاينكر تغير الأحكام بتغير الزمان".

وإذا عرفنا أن المسلم وهو يسعى لتحقيق القيمة يسعى لتطبيق حكم الله، قال تعالى: ﴿**إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوْآ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُوْنَ**﴾(٩١) أدركنا أن القيم التي تمثل الأحكام الاجتهادية هي قيم متغيرة تدور مع تحقيق مقاصد الشريعة في الخلق نتيجة تغير الظروف.

وأحيانا يكون حفظ القيمة بالامتناع عن أعمال وتصرفات ليست مقصودة لذاتها بالمنع في نظر الشرع، ولكن لاحتمال أن تكون طرقا مفضية إلى أمر ممنوع شرعا ولو عن غير قصد، أي تكون ذريعة لجلب المفاسد، لهذا يكون درؤها أولى. قال تعالى: ﴿**وَلاَ تَسُبُّو الَّذِيْنَ يَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللّهِ فَيَسُبُّوا اللّهَ عَدْواً بِغَيْرِعِلْمٍ**﴾(٩٢)، وسبب النهي عن سبّ أصنام المشركين لأن سبّها قد يثير حنقهم فيسبوا الله جهلا وعدوانا، صحيح أن سبّ الأصنام وتحقيرها هو من قيم الإسلام، فالرسول عليه السلام عند فتح مكة قام بتحطيم الأصنام المنصوبة حول الكعبة وكان يقول: "جاء الحق وزهق الباطل". ولكن إذا أدى سبّ الأصنام إلى مفسدة أكبر من المصلحة في سبّها وتحقيرها فترك ذلك هو الأولى،أي أن صورة القيمة هي التي تنعدم أما الحقيقة وهي كراهية الأصنام والشرك فهي غير منعدمة في القلب.

والقيم الإسلامية لا تؤدي دورها التربوي طالما هي في معزل عن القيمة الأولى وهي الإيمان بالله سبحانه وتعالى، لأن الإنسان ابن بيئته التربوية، فهو يتشكل بها، فإذا كانت قيمه ومعارفه ظنية فالتقلب والتغيير سيبقيان مرافقين شخصيته، كما أننا نجد أنماطا مختلفة من

شخصية الإنسان نظرا لاختلاف البيئات التربوية، التي هي وليدة اجتهادات الإنسان لإشباع ميوله وقضاء شهواته.

وإذا ما أردنا تمييز القيم عن بعضها البعض لمعرفة أيها أفضل للإنسان لتربيته عليها، لا نجد غير القيم التي وضعها من هو أعلم بدوافع الإنسان ونوازعه وخصائصه، وهي القيم المجردة عن حدود الزمان والمكان، قال تعالى: ﴿**أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيْفُ الْخَبِيْرُ**﴾(٩٣)، وتتميز القيم في منهاج التربية الإسلامية أن هدفها صياغة الإنسان من جميع جوانبه الجسمية والعقلية والروحية فهي تنشر أجنحتها على سلوك الإنسان في جوانبه الدقيقة لتضمن لها الارتقاء والتدرج إلى مستويات الكمال، ولكن هذا الارتقاء يتفاوت تبعا لقوة شحنات الإيمان عند الإنسان ونسبة تشرّبه لها، فقد ذكر مسعود(٩٤): وإذا كان المسلمون يتفاوتون فيما بينهم في الأذواق والأشواق، فإن ذلك التفاوت يقوم على المقدار الذي يجنيه كل فرد من هؤلاء، من الشحنات والدفقات التي تهبُها القيم التربوية لكل متشبّع بها، أي أن ذلك التفاوت ينبني على حظ كل واحد من أفراد المسلمين في المسابقة والمسارعة إلى الخيرات التي يسعى المسلم أن يصل من خلالها إلى الله تعالى، فيقف بين يديه وهو على قدر كبير من الصفاء والارتقاء، فالتفاوت بين أذواق الأفراد وأشواقهم، وبين ما يجنيه كل فرد من شحنات الإيمان هو ما أدى إلى النسبية في تحقيق القيم.

والقيم الإسلامية تدعو المرء أن لا يكون أسير معلومات غير صحيحة، كما هو الشأن في العادات التي لا صلة لها بالحقائق. جاء في الحديث أن النبي -صلى الله عليه وسلم- سمع أصواتا فقال: "ما هذا الصوت؟ قالوا: النخل يؤبرونها، فقال: "لو لم يفعلوا لصلح" فلم يؤبروا عامئذ فصار شيصا (التمر الذي لا يشتد نواه) فذكروا ذلك للنبي -صلى الله عليه وسلم-، فقال: إن كان شيئا من أمر دنياكم، فشأنكم، وإن كان من أمر دينكم فإليّ"[٩٥]، والشاهد في هذا الحديث أن لا يأخذ المسلمون الأمور بدون تجربة؛ لأن التجربة تطلعك على خفايا الأمور. وقد ذكر النيفر[٩٦]: إن أهمل الناس التجربة وأهملوا عرض ما يعرض على النظر الفاحص تكون الحيدة والميل عن المنهج المؤدي إلى الابتكار والابتداع، وعلى العقول أن تجتهد دون أن يقيدها قيدٌ يقف بها في أثناء سيرها الضروري، وهو ما تتطلبه الحياة في عجلتها حتى لا تقف عن الدوران، وهذا ما وقع فيه الناس في العصور التي انغلقت فيها الأفكار.

هذا الموقف التربوي يفسح لنا المجال أن نعيد النظر في الاجتهادات البشرية لنتأكد من سلامتها وفاعليتها، وأن هذه المواقف ليست مطلقة بل هي متغيرة تدور مع جلب المصلحة للإنسان.

النتائج:

على الرغم أنه يوجد قدر كبير من الاتفاق بين الباحثين المسلمين في تحديد موضوعات القيم سواء أكان في تعريفها أم تحديد مصادرها أم مكوناتها وخصائصها أم المطلقة والنسبية منها،

إلا أن الباحث يرى أن موضوعاتها تحتاج إلى مزيد من الدراسات، فجاءت هذه الدراسة لتلقي مزيدا من الوضوح على معنى القيم المطلقة والنسبية، ويرى الباحث أن الدراسة أسفرت عن النتائج التالية:

١- تستند القيم الإسلامي إلى القيمة الأولى وهي الإيمان بالله، وكل قيمة لا تبنى عليها لا اعتبار لها، ولكنها تتفاوت في درجة إلزامها فمنها ما هو ضروري ومنها ما هو دون ذلك وبالتالي فإن اكتساب القيم أمر نسبي حسب درجة إلزامها.

٢- تكون نسبية تحقيق القيمة حسب قوة تشرُّبها وحسب ظروف نشاطات تحقيق القيمة، وتظهر النسبية في آثار تحقيق القيمة التي تظهر على شكل اهتمامات واتجاهات وأنشطة وأقوال.

٣- هناك فرق بين القيمة ووسائل تحقيقها التي هي اجتهادات قابلة للخطأ والصواب، كما هي خاضعة للتغيير والتبديل.

٤- يتم تحديد اكتساب القيمة بالتطبيق العملي، وللقيمة حقيقة وصورة، ولهذا تظهر النسبية في التطبيق العملي، كما تظهر بانعدام الصورة مع بقاء الحقيقة أو بقاء الصورة مع الحقيقة.

٥- للقيم الإسلامية مسوغات تدفع لتحقيقها، فإذا لم تتحقق مسوغاتها جرى تغيير في خصائص القيمة المكانية والزمانية.

٦- لا تؤدي القيم الإسلامية دورها التربوي، ما لم تنطلق من القيمة الأولى وهي الإيمان بالله، كما أن أي اختلال في القيم

الضرورية زيادة أو نقصانا أو توازنا أو اعتدالا يلحق الضرر بالقيم الأخرى.

٧- المنهج التربوي الإسلامي لا يقبل القيم التي جاء التوصل إليها عن طريق الاجتهاد دون تمحيص لها.

الملخص:

تعدّ دراسة القيم ضرورية لأنها نسيج وجداني سلوكي يشكل أهم محور من محاور تربية الإنسان، فهي تشكل المنطلق والموجه والضابط لسلوكه والمرجعية لتصرفاته، وبها يقيس ويحكم على ما حوله.

ونظراً لأن الإنسان يملك حرية الإرادة وحرية الاختيار وبالتالي حرية التصرف وأنه قادر على التأثير فيما حوله بما يحقق مصالحه ورغباته كما يراها. فجاء المنهج التربوي الإسلامي المتميز عن غيره من المناهج بمبادئ وقواعد بعيدة عن التأثر بالإنسان، راعى فيها مصلحة الإنسان والظروف المتغيرة التي تدور حوله، فتمثلت هذه المبادئ والقواعد بالقيم، فكان منها ما هو ثابت لا يقبل التغيير، ومطلق لا يحده زمان ولا مكان، ومنها ما هو مرن يقبل التغيير أو التعديل أو الدرجات في الأداء، أي النسبية في أداء أفرادها أو إلزامها.

فجاءت هذه الدراسة لإلقاء مزيد من الإيضاح لمفهوم المطلقة والنسبية من القيم الإسلامية، وقد أسفرت عن التأكيد أن القيم الإسلامية تستند إلى القيمة الأولى وهي الإيمان بالله، وأن اكتساب القيم أمر نسبي، وتتفاوت آثارها حسب قوة تشرّبها من

الأفراد، وأن هناك فرقا بين القيمة وبين وسائل تحقيقها، وأن تحديد القيمة يكون بالتطبيق العملي الذي تظهر فيه نسبية الأداء، وأن الدافع للالتزام بالقيم الإسلامية هو مسوغاتها، فبمقدار تغيُّر المسوغ تتغير خصائص القيمة المكانية والزمانية، وأن أي اختلال في اكتساب القيمة زيادة أو نقصان يلحق الضرر بالقيم الأخرى.

هوامش

١- انظر: **القيم ومناهج التاريخ الإسلامي**، علي أحمد الجمل- ط/١ سنة ١٩٩٦م، عالم الكتب للنشر والتوزيع- القاهرة - مصر.

٢- انظر: **المنظومة القيمية الإسلامية كما تحدّدت في القرآن الكريم والسنّة الشريفة، مجلة دراسات العلوم الإنسانية** مجلّد ٢٢(أ) العدد ٦ (ملحق) سنة ١٩٩٥م ص ٣٢١٧-٣٢٤١.

٣- انظر: **اتجاهات المعلمين في الأردن نحو القيم الإسلامية في مجال العقائد والعبادات والمعاملات كما حدّدها الإمام البيهقي** ، إسحاق أحمد فرحان وتوفيق أحمد مرعي(١٩٨٨م) أبحاث اليرموك مجلد ٤(٧)، ص ٩٧-١٣٦.

٤- انظر: **بناء مقاييس القيم الاجتماعية في الإسلام**، عبدالرحمن صالح عبدالله، وشفيق فلاح علاونة وحسين بن خالد مؤتة للبحوث والدراسات سنة(١٩٩١م) المجلد ٦(٣) - ص ١٠٧-١٣٢.

٥- انظر: **القيم ومناهج التاريخ الإسلامي للجمل** ط/١.

٦- انظر: **المنظومة القيمة الإسلامية كما تحدّدت في القرآن الكريم والسنّة المشرّفة** (سنة ١٩٩٥م) ص/٣٢١٧-٣٢٤١.

٧- انظر : **سلوك الفرد والجماعة في التنظيم: مفاهيم وأسس السلوك التنظيمي**، كامل محمد المغربي، سنة (١٩٩٤م) -ط/٢ دار الفكر، عمّان، الأردن.

٨- انظر: **مستوى الاعتقاد لمنظومة القيم التربوية الإسلامية ودرجة ممارستها لدى طالبات الجامعات الحكومية في الأردن** (رسالة ماجستير غير منشورة) تهاني محمد عبدالرحمن الفريحات- سنة(١٩٩٨م)- جامعة اليرموك - إربد- الأردن.

٩- انظر: **دستور الأخلاق في القرآن: دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن** -محمد عبدالله درّاز -ط/١-سنة ١٩٩٨م مؤسسة الرسالة - الكويت.

١٠- انظر: **ارتقاء القيم: دراسة نفسية**، عبداللطيف محمد خليفة - ط/١- الكويت- المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب سلسلة عالم المعرفة- العدد(١٦٠)، سنة (١٩٩٢م).

١١- انظر: **اتجاهات المعلّمين في الأردن نحو القيم الإسلامية في مجال العقائد والعبادات والمعاملات كما حدّدها الإمام البيهقي**، إسحاق أحمد فرحان وتوفيق أحمد مرعي- أبحاث اليرموك- سنة (١٩٨٨م)- مجلد ٤(٧) ص/٩٧-١٣٦.

١٢- انظر: **مبحث القيم في علوم الإنسان**، محمد أحمد بيومي- دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، سنة (١٩٨٠م)- مصر.

١٣- انظر: **القيم في العملية التربوية**، ضياء زاهر- مؤسسة الخليج العربي، سنة(١٩٨٤م) القاهرة- مصر.

ق: **القيم ومناهج التاريخ الإسلامي**، علي أحمد الجمل- ط/١- عالم الكتب للنشر والتوزيع، سنة (١٩٩٦م)- القاهرة- مصر.

١٤- انظر: **الميسر في عالم النفس الاجتماعي**، توفيق مرعي وبلقيس أحمد- ط/٢- دار الفرقان، سنة (١٩٨٤م)- عمان- الأردن.

١٥- انظر : **علم النفس التربوي**، عبدالحميد جابر- ط/دار النهضة العربية، سنة(١٩٨٢م)- القاهرة- مصر.

١٦- انظر: **ارتقاء القيم: دراسة نفسية**، عبداللطيف محمد خليفة ط/١- الكويت- المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب سلسلة عالم المعرفة- العدد (١٦٠)، سنة (١٩٩٢م).

١٧- سورة التوبة: الآية: ٣٦.

١٨- سورة البيّنة: الآية: ٣.

١٩- سورة الأنعام: الآية: ١٦١.

٢٠- انظر: **العلاقة بين القيم الدينية والأمن النفسي لدى طلبة جامعة اليرموك** (رسالة ماجستير غير منشورة) سنة (١٩٩٣م)- جامعة اليرموك- إربد- الأردن.

٢١- انظر: **القيم الإسلامية المتضمّنة في كتابي القراءة للصف الثالث الابتدائي في مصر وقطر**، محمد وجيه الصاوي- حولية كلية التربية ٧ (٧)- سنة (١٩٩٠م) - ص ٢٤٩-٣٠١.

٢٢- انظر: **المنظومة القيمة الإسلامية كما تحدّدت في القرآن الكريم والسنّة المشرّفة**، مروان القيسي- مجلّة دراسات العلوم الإنسانية- مجلد ٢٢(أ)، العدد ٦(ملحق)، سنة (١٩٩٥م)- ص/٣٢١٧-٣٢٤١.

٢٣- انظر: **القيم الإسلامية والتربوية: دراسة في طبيعة القيم ومصادرها ودور التربية الإسلامية في تكوينها**- علي خليل أبو العينين- ط/١- سنة (١٩٨٨م) - مكتبة إبراهيم الحلبي، المدينة المنورة.

٢٤- انظر: **اتجاهات المعلمين في الأردن نحو القيم الإسلامية في مجال العقائد والعبادات والمعاملات كما حدّدها الامام البيهقي**- إسحاق أحمد فرحان وتوفيق أحمد مرعي- أبحاث اليرموك سنة (١٩٨٨م)- مجلد ٤(٧)، ص٩٧-١٣٦.

٢٥- انظر: **القيم ومناهج التاريخ الإسلامي** - ط/١- عالم الكتب (القاهرة).

٢٦- انظر: **سلوك الفرد والجماعة في التنظيم: مفاهيم وأسس السلوك التنظيمي**، كامل محمد المغربي-ط/٢ سنة (١٩٩٤م)- دار الفكر- عمّان- الأدرن.

٢٧- انظر: **المعجم التربوي: في الأصول الفكرية والثقافية للتربية**، لطفي بركات أحمد- ط/١، سنة (١٩٨٤م) ، دار الوطن للنشر والطباعة والإعلام - الرياض - السعودية.

٢٨- انظر: **النظام القيمي في ضوء توجيهات التربية الإسلامية** (قيد النشر)، ماجد الجلاّد- مجلة أبحاث جامعة اليرموك- إربد- الأردن.

٢٩- سورة النحل: الآية: ٩٧.

٣٠- سورة فصلت: الآية: ٨.

٣١- سورة البيّنة: الآية: ٧.

٣٢- انظر: **المنظومة القيمة الإسلامية كما تحدّدت في القرآن الكريم والسنّة المشرفة**- للقيسي- مجلد(٢٢(أ)- ع/٦- ص/٣٢١٧-٣٢٤١.

٣٣- سورة لقمان: الآية: ٢٠.

٣٤- سورة التين: الآيات: ٤-٦.

٣٥- انظر: **النظام القيمي في ضوء توجيهات التربية الإسلامية للجلاّد**- مجلة أبحاث جامعة اليرموك- إربد - الأردن.

٣٦- انظر: **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، أحمد بن حجر العسقلاني- ط/١- سنة (١٩٩٣م)- دار الفكر - بيروت- لبنان.

٣٧- سورة البلد: الآية: ١٠.

٣٨- سورة الزخرف: الآيتان: ٢٦-٢٧.

٣٩- سورة الكهف: الآية: ٢٩.

٤٠- سورة نوح: الآيتان: ٢٦-٢٧.

٤١- سورة النحل: الآية : ٧٨.

٤٢- انظر: **ارتقاء القيم: دراسة نفسية**- لخليفة- ط/١- الكويت- المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- سلسلة عالم المعرفة- العدد(١٦٠).

٤٣- انظر: **فتح الباري**..، كتاب الجمعة، باب ١١- الحديث رقم(٨٩٣).

٤٤- انظر: **مبحث القيم في علوم الإنسان**..، لبيومي- ط/ دار المعرفة - مصر- (١٩٩٣م).

٤٥- انظر: **القيم في العملية التربوية**، لزاهر - ط/القاهرة - سنة (١٩٨٤م).

٤٦- انظر: **مبحث القيم في علوم الإنسان**...، لبيومي، ط/دار المعرفة مصر (١٩٩٣م).

٤٧- انظر: **القيم الخاصة لدى المبدعين** ، محي الدين أحمد. ط/ دار المعرفة، سنة(١٩٨١م)- القاهرة- مصر.

٤٨- انظر: **مدى تطور مفهوم بعض القيم الإسلامية لدى طلبة التعليم الابتدائي والإعدادي والثانوي في الأردن وانسجامها مع مراحل النمو الأخلاقي حسب نظرية كولبرج**(رسالة ماجستير غير منشورة) مصطفى محمود عبدالهادي- جامعة اليرموك، سنة (١٩٨٦م)- إربد- الأردن.

٤٩- انظر: **القيم الإسلامية التربوية والمجتمع المعاصر**- عبدالمجيد مسعود - ضمن سلسلة كتاب الأمة- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر سنة (١٩٩٨م) العدد ٦٧- السنة الثامنة عشرة.

٥٠- انظر: **القيم في العملية التربوية**، سنة(١٩٨٤م)- ط/ القاهرة.

٥١- انظر: **العوامل الاجتماعية الأسرية المؤثرة في مدى التزام طلبة جامعة اليرموك بالقيم الإسلامية** (رسالة ماجستير غير منشورة)- سلام إبراهيم حسن العمري سنة(١٩٩٨م)- جامعة اليرموك- إربد- الأردن.

٥٢- سورة فاطر: الآية: ٤٣.

٥٣- سورة النحل: الآية: ٧٨.

٥٤- انظر: **القيم الإسلامية التربوية والمجتمع المعاصر** -لمسعود- سنة (١٩٩٨م) ضمن سلسلة كتاب الأمة- قطر- ع/٦٧- السنة الثامنة عشرة.

٥٥- سورة الروم: الآية: ٣٠.

٥٦- سورة الملك: الآية: ١٤.

٥٧- سورة النور: الآية: ٣٩.

٥٨- انظر: **المنظومة القيمة الإسلامية**..، للقيسي، سنة (١٩٩٥م)- مجلة دراسات العلوم الإنسانية- مج ٢٢(أ)- ع/٦-ص/٣٢١٧-٣٢٤١.

٥٩- سورة الذاريات: الآية : ٥٦.

٦٠- سورة الرعد: الآية : ٢٨.

٦١- سورة الأنعام: الآية: ٨٢.

٦٢- انظر: **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان- باب ٢٤- حديث رقم(١٧٥).

٦٣- انظر : **القيم الإسلامية التربوية والمجتمع المعاصر**، عبدالمجيد مسعود (١٩٩٨م)- كتاب الأمة- قطر العدد(٦٧) السنة الثامنة عشرة.

٦٤- انظر: **دستور الأخلاق في القرآن**، محمد عبدالله درّاز- ط/١٠ مؤسسة الرسالة الكويت ، سنة (١٩٩٨م).

٦٥- سورة النحل: الآية: ١٠٦.

٦٦- سورة البقرة: الآية: ٢٢٥.

٦٧- سورة يوسف: الآية : ٤٠.

٦٨- انظر: **دستور الأخلاق في القرآن**- درّاز- ط/١٠- ١٩٩٨م- الكويت.

٦٩- انظر: **سنن ابن ماجة**- كتاب السنّة، الباب الأول- حديث رقم (٢/١)، ط/١- دار المعرفة- بيروت (١٩٩٦م).

٧٠- انظر: **الموافقات في أصول الشريعة**، إبراهيم بن موسى الشاطبي طبعة دار المعرفة (١٩٩٦م) بيروت.

٧١- سورة الأنفال: الآية: ٦٥.

٧٢- سورة الأنفال : الآية: ٦٦.

٧٣- سورة البقرة: الآية: ١٨٥.

٧٤- سورة المائدة: الآية: ٦.

٧٥- سورة البقرة: الآية: ١٨٣.

٧٦- سورة البقرة: الآية: ١٨٥.

٧٧- سورة البقرة: الآية: ١٥٠.

٧٨- سورة البقرة: الآية: ٢٣٩.

٧٩- سورة الأعراف: الآية: ٢٨.

٨٠- سورة النحل: الآية: ٩٠.

٨١- سورة المائدة: الآية: ١٠٠.

٨٢- سورة يونس: الآية: ٢٥.

٨٣- انظر: **دستور الأخلاق**...، درّاز- ط/١٠- مؤسسة الرسالة - الكويت.

٨٤- انظر: **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**- كتاب الجهاد - الباب ١٣٤- حديث رقم(٢٩٩٦).

٨٥- انظر: **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**- كتاب الرقاق- باب ٣٨- حديث رقم(٦٥٠١).

٨٦- انظر: **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**- كتاب النكاح- الباب الأول- حديث رقم(٥٠٦٣).

٨٧- انظر: **فتح الباري**: كتاب الإيمان- الباب ٢٩- حديث رقم(٢).

٨٨- انظر: **الموافقات في أصول الشريعة**- ط/ دار المعرفة - بيروت سنة(١٩٨٦م).

٨٩- انظر: **المدخل الفقهي العام** (الجزء الأول) مصطفى الزرقاء- ط/١٠، (١٩٨٦م) مطبعة طربين- دمشق- سوريا.

٩٠- نفس المصدر السابق.

٩١- سورة يوسف : الآية: ٤٠.

٩٢- سورة الأنعام: الآية: ١١٠.

٩٣- سورة الملك: الآية: ١٤.

٩٤- انظر: **القيم الإسلامية التربوية والمجتمع المعاصر**، مسعود- كتاب الأمة- قطر(١٩٩٨م)- عدد ٦٧- السنة(١٨).

٩٥- انظر: **سنن ابن ماجة**، كتاب الرهون- حديث رقم (٢/٢٤٧١).

٩٦- انظر: **أسس التربية الاجتماعية في الإسلام**- محمد الشاذلي النيفر- ندوة خبراء- أسس التربية الإسلامية - المنظمة العربية للتربية والثقافة-ط/٢- مكة المكرمة.

المراجع

١- أبو العينين، علي خليل، (١٩٨٨م)، **القيم الإسلامية والتربوية**: دراسة في طبيعة القيم ومصادرها ودور التربية الإسلامية في تكوينها، ط ١، مكتبة إبراهيم الحلبي، المدينة المنورة.

٢- أبو بكر، عصام سليمان صباح،(١٩٩٣م)، **العلاقة بين القيم الدينية والأمن النفسي لدى طلبة جامعة اليرموك**، رسالة ماجستير غير منشورة، إربد- جامعة اليرموك.

٣- أحمد، لطفي بركات ، (١٩٨٤م)، **المعجم التربوي**: في الأصول الفكرية والثقافية للتربية، ط ١، دار الوطن للنشر والطباعة والإعلام، الرياض- السعودية.

٤- ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، (١٩٩٦م)، **سنن ابن ماجه**، ط ١، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان.

٥- ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت- لبنان.

٦- الأصبهاني، أحمد بن عبدالله، (١٩٩٦م)، **المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

٧- الجلاد، ماجد، قيد النشر، **النظام القيمي في ضوء توجيهات التربية الإسلامية**، مجلة أبحاث جامعة اليرموك، إربد - الأردن.

٨- الجمل، علي أحمد، (١٩٩٦م)، **القيم ومناهج التاريخ الإسلامي**، ط١ ، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر.

٩- الزرقاء، مصطفى، (١٩٨٦م)، **المدخل الفقهي العام** ط١٠، جـ١، مطبعة طربين، دمشق - سوريا.

١٠- الشاطبي، إبراهيم بن موسى، (١٩٨٦م)، **الموافقات في أصول الشريعة**، دار المعرفة، بيروت- لبنان.

١١- الصاوي، محمد وجيه،(١٩٩٠م)، **القيم الإسلامية المتضمنة في كتابي القراءة** للصف الثالث الابتدائي في مصر وقطر، حولية كلية التربية، ٧(٧). ص٢٤٩-٣٠١.

١٢- مرعي، توفيق وبلقيس أحمد، (١٩٨٤م)، **الميسر في علم النفس الاجتماعي**، ط ٢، دار الفرقان، عمان- الأردن.

١٣- العسقلاني، أحمد بن حجر، (١٩٩٣م)، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ط ١ دار الفكر، بيروت- لبنان.

١٤- العمري، سلام إبراهيم حسن، (١٩٩٨م)، **العوامل الاجتماعية الأسرية المؤثرة في مدى التزام طلبة جامعة اليرموك بالقيم الإسلامية**، رسالة ماجستير غير منشورة، إربد - جامعة اليرموك.

١٥- الفريحات، تهاني محمد عبدالرحمن(١٩٩٨م)، **مستوى الاعتقاد لمنظومة القيم التربوية الإسلامية ودرجة ممارستها لدى طالبات الجامعات الحكومية في الأردن**، رسالة ماجستير غير منشورة، إربد- جامعة اليرموك.

١٦- القيسي، مروان، (١٩٩٥م)، **المنظومة القيمية الإسلامية كما تحدّدت في القرآن الكريم والسنّة الشريفة**، مجلة دراسات العلوم الإنسانية، مجلد ٢٢(أ)، العدد ٦ (ملحق)، ص ٣٢١٧-٣٢٤١.

١٧- المغربي، كامل محمد، (١٩٩٤م)، **سلوك الفرد والجماعة في التنظيم مفاهيم وأسس السلوك التنظيمي**، ط ٢، دار الفكر، عمان- الأردن.

١٨- النيفر، محمد الشاذلي، (١٤٠٠هـ)، **أسس التربية الاجتماعية في الإسلام**، ندوة خبراء، أسس التربية الإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة، ط ٢، مكة المكرمة.

١٩- بيومي،محمد أحمد، (١٩٨٠م)،**مبحث القيم في علوم الإنسان**،دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية- مصر.

٢٠- جابر، عبدالحميد، (١٩٨٢م)، **علم النفس التربوي**، دار النهضة العربية، القاهرة- مصر.

٢١- حسين،محي الدين أحمد،(١٩٨١م)، **القيم الخاصة لدى المبدعين**، دار المعرفة، القاهرة- مصر.

٢٢- حوامدة، مصطفى محمود عبدالهادي، (١٩٨٦م)، **مدى تطور مفهوم بعض القيم الإسلامية لدى طلبة التعليم الابتدائي والإعدادي والثانوي في الأردن** وانسجامها مع مراحل النمو الأخلاقي حسب نظرية كولبرج، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة اليرموك- إربد- الأردن.

٢٣- خليفة، عبداللطيف محمد (١٩٩٢م)، **ارتقاء القيم: دراسة نفسية**، ط ١، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، العدد(١٦٠).

٢٤- دراز، محمد عبدالله، (١٩٩٨م)، **دستور الأخلاق في القرآن**: دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن، ط ١٠، مؤسسة الرسالة الكويت.

٢٥- زاهر، ضياء (١٩٨٤م)، **القيم في العملية التربوية**، القاهرة، مؤسسة الخليج العربي، القاهرة- مصر.

٢٦- عبدالله ، عبدالرحمن صالح وعلاونة، شفيق فلاح وبني خالد، حسين (١٩٩١م)، **بناء مقاييس القيم الاجتماعية في الإسلام**، مؤتة للبحوث والدراسات، المجلد ٦ (٣)، ص ١٠٧-١٣٢.

٢٧- فرحان ، إسحاق أحمد، ومرعي، توفيق أحمد، (١٩٨٨م)، **اتجاهات المعلمين في الأردن نحو القيم الإسلامية في مجال العقائد والعبادات والمعاملات كما حددها الإمام البيهقي** ، أبحاث اليرموك ، مجلد ٤(٧)، ص ٩٧-١٣٦.

٢٨- مسعود، عبدالمجيد، (١٩٩٨م)، **القيم الإسلامية التربوية والمجتمع المعاصر**- كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، قطر، العدد ٦٧، السنة الثامنة عشرة.